

التحرير الصلاحي للقدس

مقدمات التحرير واستراتيجية النصر

إعداد: علي إبراهيم
قسم الأبحاث والمعلومات
مؤسسة القدس الدَولية

التحرير الصلاحي للقدس
مقدمات التحرير واستراتيجية النصر

إعداد:
علي إبراهيم

قسم الأبحاث والمعلومات
مؤسسة القدس الدوليّة
تشرين أول/ أكتوبر 2018

التحرير الصلاحي للقدس
مقدمات التحرير واستراتيجية النصر

تمهيد

امتدت حقبة الحروب الصليبية نحو 200 سنة، وأدت إلى احتلال أجزاء كبيرة من بلاد الشام، في القلب منها مدينة القدس، وتشكل هذه الحروب نموذجًا للمقارنة بين واقعنا اليوم، وواقع الأمة قبيل الاحتلال الصليبي، حيث طغى عليه التشرذم والضعف، والخلافات المذهبية والفكرية والسياسية التي أضعفت الأمة وجعلت الاحتلال الصليبي للقدس ممكنًا، من دون وجود أي مقاومة شاملة زمن الاحتلال، وهي الحالة التي دفعت الأمة إلى النهوض من كبوتها، وتوحيد جهودها لتحقيق النصر والتحرير.

لقد وصفت الحروب الصليبيّة بأنها أول حركة استعمارية للغرب الأوروبي نحو الشرق،[1] وتعيش فلسطين والقدس اليوم احتلالًا جديدًا مماثلًا، لهذا الغرب الاستعماري، هو احتلالٌ يعمل على تثبيت أركانه ليحقق بقاء طويل الأجل، مقابل حق واضح وشعب لا يستسلم. وكما شكلت القدس بوصلةً للأمة وعنوانًا لنهضتها من واقعها المأزوم، يجب أن تكون اليوم بوصلة الأمة لتحقيق النهوض والوحدة، وعاملًا لتحقيق نهضة يكون أول ثمارها تحرير القدس من الاحتلال الإسرائيلي.

1 سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، الدار المصرية، 1964، ص 17.

تشرذم الأمة طريق الهزيمة

قامت الحروب الصليبيّة نتيجة عوامل سياسيّة واقتصاديّة ودينيّة واجتماعية مختلفة، وهي الأسباب التي دفعت آلاف الأوروبيين إلى المشاركة فيها، للاستفادة من هذه الفرصة، للتخلص من واقعهم السيء، أو للحصول على كنوز الشرق العظيمة.[2] وبدأت شرارة هذه الحروب بخطاب ألقاه البابا أوربان الثاني في 27 تشرين ثانٍ/نوفبر 1095م، في كليرمونت في فرنسا، دعا فيه أوروبا إلى إعداد حملات عسكرية لتحرير القدس

2 المرجع نفسه، ص 16.



رسم يجسد مجازر الصليبيين في القدس بعيد احتلالها

والبلاد المقدسة من «الشيطان»، ومع انطلاق هذه الحملات، سقطت مدينة أنطاكيا بعد حصارٍ طويل عام 1098م، ثم سقطت القدس في 15 تموز/يوليو 1099م الموافق 23 شعبان 492 هـ[1]. حيث ارتكب المحتلون مجازر فظيعة، ويقول المؤرخ ابن الأثير عن هذه الفظاعات «لبث الفرنج في البلدة أسبوعًا، يقتلون فيه المسلمين»[2]، ويقول «قتل الفرنج بالمسجد الأقصى، ما يزيد على سبعين ألفًا»[3].

وتابعت القوات الصليبية احتلالها مدن فلسطين، ففي أثناء حصار القدس احتل الصليبيون مدينة يافا في 1099/6/15م، وسيطروا على حيفا في شوال 494 هـ آب/أغسطس 1101م بالتعاون مع أسطول بحري من مدينة البندقية، وفي 1101/5/17م احتل الصليبيون قيسارية بعد نهب المدينة وقتل السكان، وكانت عسقلان آخر مدن فلسطين سقوطًا بيد الصليبيين، حيث استعصت عليهم حتى عام 548هـ-1153م[4].

1 فوشيه الشارتري، ترجمة زياد العسلي، تاريخ الحملة إلى القدس، دار الشروق، عمان، 1990، ص 9-10.
2 على ابن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج 9، ص 19.
3 المرجع نفسه.

4 محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، مركز الزيتونة، ط 5، بيروت، 2012، ص 92-93.

لم يكن اكتساح الصليبيين الفرنجة السريع للمناطق الإسلامية، إلا نتيجة لحالة الضعف والتمزق التي كانت تعانيه الأمة. فمنذ منتصف القرن الثالث الهجري، أخذت الخلافة الإسلامية بالضعف والترهل، وسيطرت مظاهر البذخ واللهو على الدولة العباسية، ولم يعد للخلفاء العباسيين أي سلطات تذكر، وتنازعت البلاد الإسلامية ثلاث دول تسمي نفسها «خلافة»، فالخلافة العباسية في المشرق، والخلافة الفاطمية في مصر وأجزاء من المغرب والشام، والخلافة الأموية في الأندلس[1]. وسيطرت عوائل من الأمراء على الخليفة العباسي كالبويهيين والسلاجقة، وجراء ضعف سلطات الخليفة في بغداد، ظهر في بلاد الشام عددٌ من الدويلات الصغيرة المتناحرة[2].

وعلى الصعيد الفكري والمذهبي، نشطت مذاهب عديدة كالأشاعرة والحنابلة والمذاهب الفقهية، ساهمت في إثراء الحياة الفكرية ومواجهة التيارات الباطنية، واستطاعت هذه المدارس بلورة مؤسسات اجتماعية وثقافية وإدارية. ولكن مع النصف الثاني من القرن الخامس، دخلت تيارات من هذه المذاهب والمدارس الفكرية في صراع مذهبيّ، نسف

1 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 88.
2 سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص 20.

الجهود السابقة، وصبغ المجتمعات الإسلامية بالسلبية والجمود، وحوّل الأمة إلى فرق متناحرة، الأمر الذي انعكس سلبًا على اهتمام جموع الأمة بقضاياها الأساسية[3].

وانعكست هذه الحالة على الحالة الفكرية للأمة، فهي من جهة انعكست جمودًا فكريّا عامًا على حركة التأليف، ومن جهة أخرى على التعليم، وما يتصل به من مدرسين وأصحاب المراكز الدينيّة كالقضاء والإفتاء، فعملت المذاهب على فرض سيطرتها على التعليم، لتهيمن لاحقًا على المناصب[4]. وهي الحالة التي تطورت لاحقًا لشجارات واقتتال بين أنصار هذه المذاهب، يسقط على إثرها قتلى وجرحى[5].

لم يكن هذا الاضطراب الوحيد الذي عمّ البلاد الإسلامية، فقد فرض الحكام الضرائب، ورفع التجار أسعار السلع بأشكالٍ مبالغ فيها، خاصة خلال الأزمات والقحط، فزادت أعداد الفقراء. وفسدت الحياة الاجتماعية، ونتيجة لهذا الواقع انصرف المجتمع الإسلامي عن دوره الحضاري، ولم يلتفت إلا للقضايا التي تتعلق بحياته اليومية من معيشة وغذاء

3 ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين و هكذا عادت القدس، دار القلم، دبي، 2002، ص 40-41.
4 ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 46.
5 المرجع نفسه، ص 49.

وكساء، بالإضافة إلى الابتعاد عن جوهر التدين، والاقتصار عليه كشعائر أو عادات فقط[1].

لم تكن الجهود الإصلاحية في تلك الفترة منعدمة، ولكنها كانت جهوداً فردية، لا تستطيع تغيير الأمة، خاصة وسط غياب المشروع الشامل للتغيير القادر على تحقيق التوازن بين الحالة الاجتماعية- الفكرية، والسياسية، والتي تحققت في ما بعد بوجود علماء مصلحين وقادة صالحين.

نظام الملك ومحاولات الإصلاح الأولى

شكل احتلال القدس وباقي مناطق بلاد الشام صدمة كبرى لدى جموع الأمة، ولم يكن تقاعس الحكام والخلفاء عن نصرة القدس، إلا نتيجة حالة التردي التي وصلت إليها الأمة وأدت إلى تغلب الصليبيين الفرنجة على سواحل الشام والقدس.

وعلى الرغم من قلة عدد الصليبيين الفرنجة، استطاعوا فرض سيطرة كبيرة خلال 30 سنة تلت احتلالهم لمدينة القدس، حيث اعتمد الصليبيون على احتلال قلاع متفرقة في الشام وإنشاء قلاع أخر، شكلت جزرًا معزولة، وأداة للتحكم بطرق التجارة والقوافل



خريطة الحملة الصليبية الأولى واحتلال مدن الشام

وقطع طرق الإمداد والتنقل على المسلمين، واستفادوا من الخلافات الإسلامية الداخلية، عبر دعم طرفٍ في وجه طرفٍ آخر، ما أدى إلى ازدياد نفوذهم وسيطرتهم على بلاد الشام[2].

وعلى الرغم من هذا الواقع المرير الذي يطغى عليه التشرذم، بدأت حركة الجهاد في وجه الصليبيين الفرنجة بالتبلور، ولكنها كانت تفتقر إلى قاعدة صلبة، ترعى حركة الجهاد وتمده بمقومات الصمود والاستمرار، وشهدت هذه المرحلة اشتباكات دائمة بين المسلمين والصليبيين الفرنجة، وسيطرة متبادلة على

1 ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 75 - 83.

2 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 95.

مجموعة من الحصون والقلاع، من دون أي تغيير في المواقع الأساسية لكلى الطرفين[1].

ومع ذلك بدأت جهود فاعلة لتصحيح ما فسد في الأمة، وتمثل أبرزها بجهود الوزير السلجوقي نظام الملك، حيث قام بإنشاء المدارس والجامعات "النظامية" في مختلف المدن والقرى التابعة للسلاجقة، بالإضافة إلى عددٍ من العلماء الذين تولوا شؤون التدريس والقضاء والحسبة، ومنهم الإمام الجويني والغزالي والجيلاني وأبو إسحاق الشيرازي وغيرهم[2].

ومع تأثر جهود نظام الملك بالخلافات الداخلية بين الأسرة السلجوقية، واغتيال نظام الملك في 10 رمضان 485 هـ[3]، إلا أن الجهود الإصلاحية عادت لتلعب دورها في الأمة مع بزوغ مدارس إصلاحية بدأت مع مدرسة الإمام الغزالي، وتوسعت وبدأ أثرها بالتعاظم مع جهود الإمام عبد القادر الجيلاني، وبقية مدارس الإصلاح، وقد عملت على علاج الأمراض التي تفتك بالمجتمعات الإسلامية على الصعد الفكرية والفردية، وإعداد المميزين لاستكمال مسيرة الإصلاح والتعليم، بالإضافة لمدارس أخرى عملت على الاهتمام بالعامة من المسلمين، من الفلاحين

1 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 96.
2 المرجع نفسه، ص 99.
3 ابن الأثير، مرجع سابق، ج 8، ص 479.

والبدو والأحياء الشعبية في المدن الإسلامية، وقد انتشرت هذه المدارس انتشارًا كثيفًا خاصة في الأرياف والمناطق النائية، ما أسهم في تحقيق انطلاقة جادة لنهضة الأمة[4].

آل زنكي وانطلاق مسيرة تحرير المناطق المحتلة

بدأت ثمار هذه المدارس الإصلاحية بالظهور، مع تولي آق سنقر إمارة حلب في شوال 479 هـ[5]، وسار في حلب سيرة حسنة، فأقام الحدود الشرعية وقضى على اللصوص وقطاع الطرق، فأمن الناس على أموالهم وأنفسهم[6]. ثم خلفه ابنه عماد الدين زنكي، الذي سار على خطى والده، فتولى إمارة الموصل عام 521 هـ، وفي 522 هـ سيطر على حلب، حيث وجه جهوده العسكرية لمواجهة الصليبيين، فاستطاع تحقيق انتصارات كبيرة، وتوجت جهوده في مواجهة الصليبيين، بإسقاط أول مملكة صليبية أقامها الفرنجة في بلاد الشام، مملكة الرُّها الصليبية في 6 جمادى الآخرى 539 هـ، وفتح ما يتبع لها من أعمال، وبعد 20 عامًا من عمله على توحيد الأمة وجهاده للصليبيين، قتل عماد الدين زنكي في ربيع أول 541 هـ[7]، خلال حصاره قلعة جعبر على

4 ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 177.
5 محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2010، ص 46.
6 ابن الأثير، مرجع سابق، ج 8، ص 444.
7 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 98-99.

الفرات[1]، بعد أن أسس طريق التحرير لولده نور الدين محمود.

بدأت مع نور الدين مرحلة جديدة في جهاد الصليبيين، وبدأت معالم تحرير القدس تتبلور بشكلٍ أكبر، فقد شكلت سياسة نور الدين نقطة قوة لجهود مواجهة الصليبيين الفرنجة، وتضافرت جهود الدولة لتحقيق القاعدة الصلبة لمواجهة الممالك الصليبية، وأصبح نور الدين نموذجًا للقيادة الإسلامية الصادقة، لما يمتلكه من صفات قياديّة، إضافة إلى ورعه وتقواه.

تمثلت خطة نور الدين زنكي بعددٍ من السياسات الرامية للنهوض بالأمة، ورفع سويتها في إطار إعداد المواجهة واستعادت القدس، ونذكر من هذه السياسات[2]:

- إعداد الشعب إسلاميًا، والقضاء على التيارات المنحرفة.
- إشاعة العدل، وتعيين الأكفاء في الوظائف الرسمية.
- توحيد صف الأمة، ونبذ الخلافات المذهبية.
- إقامة المنشآت العامة، ورفع سوية الاقتصاد الإسلامي.

1 ابن الأثير، مرجع سابق، ج 9، ص 339.
2 ماجد عرسان الكيلاني، مرجع سابق، ص 255-256.

- تعزيز القوة العسكرية، والعناية بالصناعات العسكرية.
- توحيد المناطق الإسلامية، وخاصة بلاد الشام ومصر.

إنهاك القوة الصليبية، وتدميرها بشكلٍ تدريجي، وتحرير المناطق المحتلة تدريجيًا وصولًا لتحرير القدس[3].

حققت سياسات نور الدين نتائج باهرة، فاستطاع السيطرة على قلاع الشام ومدنها واحدة تلو أخرى، وبعد ثلاث حملات على مصر، استطاع إيجاد موطئ قدم فيها في ربيع أول 564 هـ، مع تولي القائد أسد الدين شيركوه الوزارة عند الفاطميين، ثم تولاها من بعده ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، وفي محرم 567 هـ أسقط صلاح الدين الدولة الفاطمية، وخطب للخليفة العباسي على المنابر[4].

ومع جهود نور الدين الإصلاحية التي شملت التعليم والاقتصاد وتعزيز قوة المسلمين العسكرية، لم يتوقف جهاده ضد الصليبيين الفرنجة، واتبع نور الدين استراتيجية لإضعاف قوى الصليبيين الفرنجة بشكلٍ تدريجي، من دون خوض حرب شاملة ضدهم،

3 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 104.
4 المرجع نفسه، ص 105-106.

فما بين 1146 و1174م استطاع نور الدين تحرير 50 مدينة وقرية، وكانت هزيمة الحملة الصليبية الثانية 1147-1148م، والانتصار في معركة حارم عام 1164م، من أبرز إنجازات نور الدين، حيث كسرت هذه الهزيمة شوكة الصليبيين الفرنجة، ورفعت الروح المعنوية للمسلمين[1].

وقد جعل نور الدين تحرير القدس هدفه الأسمى، ومهد الطريق لتحقيق ذلك بكل ما استطاع، حتى أنه أمر بإنشاء منبر يوضع في المسجد الأقصى المبارك بعد تحريره، ففي عام 564 هـ/1169م أمر "أن يصنع منبر لبيت الله المقدس، وقال له: اجتهد أن تأتي به على النعت المهندم والنحت المهندس، فجمع الصُناع، وأحسن الإبداع، وأتمه في سنين واستحق بحسن إحسانه التحسين"[2]، وجمع نور الدين لهذا المنبر أمهر الصناع، ليبدعوا تحفةً رائعةً وأثرًا خالدًا، ليتناسب مع مكانة المسجد الأقصى، بدأ الصناع العمل على بناء المنبر في حلب، قبل تحرير الأقصى بتسعة عشر عامًا، وقد استخدم في صناعته أجود أنواع الخشب المتوافرة، من شجر الأرز والأبنوس، وقد كان الاهتمام بالتفاصيل



صورة لمنبر نور الدين زنكي في الأقصى تعود للعهد العثماني

الدقيقة، والجماليات الصغيرة سمةً للعمل، واستخدم الحرفيون أسلوب "التعشيق"، لئلا تشوه مسامير الحديد مظهر الخشب المتجانس، وطعّمت أجزاء المنبر بالصدف والعاج، وانتهى العمل في المنبر في عام 570هـ/1174م[3].

1 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 107-109.
2 أبو شامة شهاب الدين، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ج3، ص 392.
3 عدنان أحمد أبو دية، المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص 1053 –1083.

ولم يكمل نور الدين مسيرة التحرير، فقد عاجلته المنية في 11 شوال 570هـ-1174/5/15م[1]، بعد مسيرة حافلة بتوحيد المناطق الإسلامية، ومواجهة الصليبيين الفرنجة.

صلاح الدين واستكمال الجهود الإصلاحية والسياسية

بعد وفاة نور الدين شهدت بلاد الشام اضطرابًا بين ورثته وأمرائه، حيث بويع لبنه الملك الصالح من بعده، وكان عمره 11 عامًا، فنازع وصيه شمس الدين بن المقدم عددًا من الأمراء والأتابكة، فسجن بعضهم وأبعد البعض الآخر، ما أثر في مسيرة تحرير القدس، وأدت هذه الخلافات إلى تأخير التحرير نحو 12 عامًا، وهي السنوات التي قضاها صلاح الدين في إعادة توحيد الشام[2].

فما بين 570 و582 هـ، عمل صلاح الدين على إعادة توحيد الشام، فاستطاع فرض سلطته خلال هذه المدة على دمشق، وحماة، وحمص، وبعلبك، ومن ثم الرها وحران وسنجار، وحلب وما يتبعها من مدن وقرى، وفي 582 هـ دخلت الموصل وما يتبعها في حكم صلاح الدين. وفي خضم هذه الجهود العسكرية الكبيرة لتوحيد بلاد الشام، شهدت هذه المرحلة عددًا من المعارك والمناوشات مع الصليبيين الفرنجة، وقد سمحت لصلاح الدين بالتعرف بشكل مباشر على قدرات العدو وخططه خلال الحروب[3].

وأوضحت هذه المرحلة الاستراتيجية التي عمل على تحقيقها صلاح الدين في إعداد البيئة المناسبة والممهدة لتحرير القدس، ومن أبرز مراحلها:

1. توحيد المناطق الإسلامية المحيطة بفلسطين، متمثلة بالشام ومصر، لإعادة تشكيل القاعدة الصلبة القوية والآمنة[4]، وهي الخطوة التي مهد لها نور الدين زنكي من قبل.
2. إصلاح الاقتصاد الإسلامي، وتحويل موارد الدولة من الاعتماد على الضرائب والمكوس التي كانت تفرض على عامة الناس، إلى مصادر أخرى متنوعة وشرعية، من بينها الجزية والخراج والغنائم، بالإضافة إلى إصلاح التجارة والزراعة، وبناء البنى التحتية اللازمة لتحسين الإنتاج الزراعي ونقله، ما انعكس على قدرته على تأمين الإمداد اللازم لجيوش المسلمين[5].

1 علي الصلابي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2007، ص 387.
2 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 111.
3 المرجع نفسه، ص 112-113.
4 المرجع نفسه، ص 113.
5 على الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة، بيروت، 2008، ص 342-343.

3. بناء القدرة العسكرية للجيش الإسلامي، فعمل على تحصين المدن والقلاع، وعزز قدرات الجيش الإسلامي البحرية، لمواجهة أساطيل الصليبيين الفرنجة، وإدخال أساليب مختلفة في حشد الجيش وتقسيمه بحسب أنواع الأسلحة المستخدمة وغيرها من الطرق[1].

4. وضوح هدف صلاح الدين بتحرير القدس من الصليبيين الفرنجة، وحشد كل الطاقات البشرية والعسكرية في سبيل تحقيق هذا الهدف[2].

معركة حطين: كسر شوكة الصليبيين الفرنجة وفتح طريق تحرير القدس

شكلت معركة حطين أبرز المعارك الفاصلة مع الصليبيين الفرنجة، وعمل على الاستفادة من الخلافات التي جرت في مملكة بيت المقدس الصليبية، وعقد صلحًا مع أمير أنطاكيا بوهيمند الثالث، ووسع اتفاقيات سابقة مع ريموند الثالث كذلك[3]، وهي خطوات سمحت لصلاح الدين بتشتيت جهود أعدائه، وعزل مملكة بيت المقدس عن أقوى إمارتين صليبيتين، وهما أنطاكيا وطرابلس، والتفرغ لبناء الحشد العسكري للمعركة الفاصلة، والتحرك بشكلٍ مباشر إلى قلب فلسطين[4].

وضع صلاح الدين خطة التوغل في قلب المناطق المحتلة، والاشتباك مع العدو في معركة فاصلة، خاصة أن جزءًا كبيرًا من جيشه من المتطوعين القادمين من مناطق بعيدة، كمصر وحلب والجزيرة وغيرها، بالإضافة إلى منع الصليبيين من استعادة قدرتهم على تجميع قواتهم[5].

اجتازت القوات الإسلامية نهر الأردن وسيطرت على طبريا، وكان اختيار ميدان المعركة في منطقة غنية بالمراعي والماء، ونيل المسلمين قسطًا من الراحة، في مقابل التعب والإرهاق الذي نال الجيش الصليبي وقلة المياه في المكان الذي عسكروا فيه، ساهم في تحسين ظروف المعركة، ورجحان كفة المسلمين[6]، وقد وصف صاحب كتاب الروضتين حالة الصليبيين الفرنجة "قطعت على الفرنج طريق الورود، وبلوا من العطش بالنار ذات الوقود"[7].

1 علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص 365-375.
2 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 113.
3 علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص 495.
4 المرجع نفسه، ص 496.
5 المرجع نفسه، ص 499.
6 المرجع نفسه، ص 502.
7 أبو شامة شهاب الدين، ج 3، ص 281.

وفي 24 ربيع الآخر 583 هـ/ 4 تموز 1187م، احتدمت المعركة بين الجانبين، فانهزم الصليبيون الفرنجة هزيمة فادحة، وتشير المصادر إلى أن عدد قتلى الجيش الصليبي الفرنجي بلغ 30 ألفًا، وأسر 30 ألفًا آخرون، ولم ينج منهم إلا عددٌ قليل جدًا، وبلغ من كثرة الأسرى أن باع أحد جنود المسلمين أسيره الفرنجي لقاء نعل[1]، وكان من بين الأسرى عددٌ من كبار أمراء الصليبيين وملوكهم، من بينهم ملك بيت المقدس غي دي لوزينيان، وأرناط حاكم الكرك، وصاحب جبيل وجماعة من فرسان الداوية والإسبارتية[2]، وغير ذلك من الغنائم التي وقعت بين أيدي المسلمين.

وبعد الانتصار الباهر انفتحت أمام جيوش المسلمين الطريق لتحرير المناطق المحتلة، فاستطاع المسلمون تحرير طبريا وعكا والناصرة وصفورية، ثم اتجهوا إلى الخليل وبيت لحم وعسقلان وغزة، وغيرها من المدن والقرى الفلسطينية[3]. وتحولت أنظار المسلمين إلى القدس، حيث أصبح الطريق لتحريرها مفتوحًا.

تحرير القدس والأقصى إنجاز للأمة جمعاء

فرض صلاح الدين الحصار على القدس في 15 رجب 583 هـ الموافق 20 أيلول/سبتمبر 1187م، وكان فيها نحو 60 ألف مقاتل عدا عن غير المقاتلين من النساء والأطفال[4]، وشدد المسلمون الحصار على المدينة، وحاولوا اقتحامها أكثر من مرة، فطلب الصليبيون الأمان مقابل تسليم المدينة، ولكن صلاح الدين رفض وقال لهم "لا أفعل بكم إلا كما فعلتم بأهله حين ملكتموه"[5].

وإثر تكرر المراسلات بين الطرفين، قبل صلاح الدين إعطاء الصليبيين الأمان مقابل فدية عن كل من يخرج من المدينة من الصليبيين الفرنجة، وتم تسليم المدينة في 27 رجب 583 هـ الموافق 2 تشرين أول/أكتوبر 1187م، بالتزامن مع ذكرى الإسراء والمعراج[6]، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوار القدس، وأمر صلاح الدين بإزالة ما أقامه المحتلون في المسجد الأقصى، حيث حول جزء منه إلى كنيسة، وأجزاء أخرى إلى أماكن للسكن والخيول، فأمر بإعادة المسجد إلى حالته القديمة[7]، وأمر بجلب منبر نور الدين زنكي إلى الأقصى[8].

1 أبو شامة شهاب الدين، مرجع سابق، ج3، ص 299.
2 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 114.
3 المرجع نفسه ص 114.
4 أبو شامة شهاب الدين، ج 3، ص 330.
5 علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص 536.
6 أبو شامة شهاب الدين، ج 3، ص 331.
7 علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص 538.
8 محسن محمد صالح، مرجع سابق، ص 115.

وبلغ من اهتمام صلاح الدين بالمسجد الأقصى، أن أمر بغسل مبانيه ومساجده بعد إزالة تعديات الفرنجة بماء الورد والمسك[1]، وأقيمت أول جمعة بعد ثمانية أيام من الفتح، في 5 شعبان 583هـ، وقام بترتيب شؤون المسجد الأقصى من بسط وقناديل وغيرها، وعين المؤذنين والخطباء ومن يقوم بشؤونه، وأقام عددًا من المدارس والأربطة، وأوقف على هذه الأمور أوقافًا مختلفة[2].

أظهر صلاح الدين من التسامح والرحمة تجاه الصليبيين ما سطرته كتب المؤرخين من المسلمين وغيرهم، وقدم نموذجًا لانتصار القائد المسلم، وعادت القدس للمسلمين بعد 88 عامًا من احتلالها، وكان يوم تحريرها عرسًا في أرجاء أمة الإسلام التي كانت تتعطش لاستعادة المدينة إليها. وتابع صلاح الدين جهاده ضد الصليبيين، واستطاع تحرير العديد من المدن والقلاع الصليبية، ففي عام 485 هـ فتح جبلة واللاذقية وقلعة صهيون وغيرها. وبذلك استطاع صلاح الدين تحرير أغلب مناطق فلسطين.



نصب تذكاري يجسد صلاح الدين يقع قرب قبره في مدينة دمشق

وكما شكلت القدس نموذجًا للانحدار الذي عانت منه الأمة عندما استطاع الصليبيون الفرنجة احتلالها، شكل تحريرها نموذجًا لقدرة مجموع الأمة على حشد مختلف الطاقات البشرية والعسكرية والمادية والمعنوية، لتحقيق النصر على محتليها، وهو نموذج واقعي، يقدم للأمة اليوم دروسًا عن فرض الواقع في نبذ الخلافات وحشد الطاقات لتحرير المدينة من محتليها من الصهاينة، وهو نصر يمكن أن يتحقق، بتضافر جهود العرب والمسلمين خارج فلسطين والقدس، وبصمود الفلسطينيين الأسطوري داخلها.

1 جمال عبد الهادي مسعود، الطريق إلى بيت المقدس القضية الفلسطينية، دار الوفاء، القاهرة، ص 115.

2 علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، مرجع سابق، ص 544-552.

مراجع الدراسة

- أبو شامة شهاب الدين، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997.
- جمال عبد الهادي مسعود، الطريق إلى بيت المقدس -القضية الفلسطينية-، دار الوفاء، القاهرة.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية، الدار المصرية، 1964.
- عدنان أحمد أبو دية، المصلى القبلي في المسجد الأقصى في العهد الأيوبي، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني.
- علي ابن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
- علي الصلابي، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته وعصره، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2007.
- علي الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، دار المعرفة، بيروت، 2008.
- فوشيه الشارتري، ترجمة زياد العسلي، تاريخ الحملة إلى القدس، دار الشروق، عمان، 1990.
- ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم، دبي، 2002.
- محسن محمد صالح، الطريق إلى القدس، مركز الزيتونة، ط 5، بيروت، 2012.
- محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، 2010.

الإدارة العامة
شارع الحمرا - بناية السارولا - الطابق 11
هاتف: 00961-1-751725
فاكس: 00961-1-751726
ص.ب: 113-5647 بيروت لبنان
info@alquds-online.org
www.alquds-online.org



مؤسسة القدس الدّولية
al Quds International Institution (QII)
www.alquds-online.org